الطفولة في الانتفاضة الثانية:
تحليل لغوي للصراع وآفاق الأمل

لندن – منحت جامعة ليفربول – بريطانيا، الزميلة في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي سكاي مكلاغلن، درجة الدكتوراه في علم اللغويات التطبيقية عن رسالتها التي جاءت تحت عنوان "الطفولة في الانتفاضة الثانية: تحليل لغوي للصراع وآفاق الأمل".

الزميلة سكاي خلال مشاركتها في مساق تربوي في مقر مركز القطان برام الله.

وتضمنت الرسالة بحثاً استكشافياً لغوياً للطرق التي يستنبط من خلالها مجموعة من الطلاب الفلسطينيين تفسير قناعاتهم ووجهات نظرهم عن العالم الناتجة عن تجاربهم في العيش تحت الاحتلال الإسرائيلي وتأثير الانتفاضة الشعبية الثانية عليهم.

ويحلل البحث، الذي يستند إلى تقاليد السيميائية الاجتماعية والتحليل النقدي للخطاب، اختيارات اللغة من خلال 160 نصاً مكتوباً ومحكياً باللغة الإنكليزية لفتيات وفتيان فلسطينيين من مدينة رام الله، تتراوح أعمارهم بين 12 إلى 18 عاماً، وذلك خلال العام الدراسي 2002-2003، هادفاً، من خلال التحليلات اللغوية للنصوص، وأصوات الأضعف، وهم تحديداً مجموعة الأطفال الفلسطينيين، إلى ما هو أبعد من الاستكشاف البسيط للطرق التي من خلالها تحافظ قوى الاحتلال على سلطتها وتحكمها بالشعب المحتل، إنه يصل إلى أبعد من ذلك، إلى استكشاف لكيفية رؤية المضطهدين لردود أفعالهم العاطفية والعقلية والجسدية، ومواقفهم ضد الاضطهاد.

وتوضح مكلاغلن أن اللغة نظام يستنبط من خلاله الناس خبرتهم عن العالم وينظمون أنفسهم اجتماعياً، مشيرة إلى أن التجربة الإنسانية التي وضع خلالها هذا البحث، أو السياق الاجتماعي الخاص به، هي عالم يلتقي فيه القهر الكولونيالي مع انتفاضة الشعب التلقائية، وهي المظلة التي سينضوي فيها التحليل النقدي للخطاب مع علم اللغويات الوظيفي المنتظم، حيث سييسر اجتماع هاتين الخلفيتين النظريتين استكشاف عدم التوازي في القوى للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، كما تراها مجموعة الطلاب الفلسطينيين عينة البحث.

وتشير إلى أنها اعتمدت في بحثها أداتين في التحليل اللغوي؛ تمثلت الأولى في توظيف التحليل الانتقالي (Transitivity)، كأداة قوية ضمن قواعد اللغة لاستكشاف كيفية خلق الكتّاب للمعنى وقيامهم بعكس التجربة من خلال الجملة أو العبارة، موضحة أن هذه الأداة تظهر كيف أن الخصائص اللغوية لأي نص تدل على الطريقة الخاصة التي يرى الكاتب فيها العالم، كما يجري من خلال هذه الأداة ومن خلال العبارات تمثيل العالم كما هو منظم، وكعدد محدد من العمليات لكل منها أدوار تشاركية وظروف ممكنة.

أما الأداة الثانية فتمثلت في توظيف التحليل التقييمي (Appraisal)، الذي ييسر التحقق من المصادر اللغوية التي من خلالها أصبحت العبارة موقعاً للتبادل، حيث يخلق كاتب النص أو المتحدث به من هذا الموقع مواقف أيديولوجية لها علاقة بالخبرات المستنبطة.

وتضيف أن هذا البحث وظّف العديد من الأطر النظرية التي أنتجها علم اللغويات الوظيفي المنتظم (Systematic Functional Linguistics) فرع هاليداي (Hallidaya)، وهي نظرية في اللغة تتمركز على فكرة وظيفة اللغة بدءاً من السياق الاجتماعي وتنظر إلى تأثير اللغة وتأثرها بهذا السياق.

وتشير إلى أن نتائج البحث أظهرت لدى الأطفال مواضيع كالنفي، والإبعاد، والخوف، والمعاناة، كما أظهرت أن نصوصهم تطور صوراً للذات والمجتمع تبدو فيها إمكانات لتذليل الحواجز أو القناعات المسبقة أو الخاطئة التي يعتقدون أن العالم يحملها ضدهم.

وتؤكد أن خطاب الطلاب يتيح لمحللي الخطاب وللعاملين في مجال علم اللغويات الوظيفي المنتظم، إمكانية كبيرة لتحليل خطابي إيجابي.

يذكر أن مكلاغلن تعمل حالياً محاضرة في جامعة ميجيل بكندا، وما زالت على تواصل مع مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، ومن المتوقع أن تشارك في المساقات الشتوية التي سينظمها المركز في مدينة أريحا في كانون الثاني المقبل، كما ستنظم لها محاضرة في فلسطين حول رسالة الدكتوراه التي أنجزتها.